

أسفار موسى الخمسة

يوسف وإخوته

الدرس
العاشر



خدمات الألفية

الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

I. المقدمة

II. البنية والمحتوى

أ. خلاف الآباء

١. أثار يوسف إخوته

٢. باع الإخوة يوسف

ب. حكم يوسف المتوعد

١. خطية يهوذا في كنعان

٢. نجاح يوسف في مصر

ج. المصالحة وجمع الشمل

١. الرحلة الأولى

٢. الرحلة الثانية

٣. الرحلة الثالثة

د. حكم يوسف الخير

هـ. وفاق الآباء

١. ترتيبات يعقوب العائلية

٢. ترتيبات يوسف العائلية

III. المواضيع الرئيسية

أ. التركيزات المشتركة

١. نعمة الله لإسرائيل

٢. ولاء إسرائيل لله

٣. بركات الله لإسرائيل

٤. بركات الله من خلال إسرائيل

ب. التركيزات الخاصة

١. الوحدة القومية

٢. التنوع القومي

IV. الخاتمة

أسفار موسى الخمسة

الدرس العاشر

يوسف وإخوته

المقدمة

في العائلات ذات الممتلكات الكثيرة غالباً ما يتنازع الإخوة حول من سيحظى بالميراث الأكبر. وعندما يحين الوقت لانتقال الأملاك من جيل إلى آخر، يمكن حتى للإخوة والأخوات الذين لطالما أحبوا بعضهم بعضاً أن ينقسموا بحيث لا يقدر سوى الله وحده أن يعيد روابط المحبة بينهم. ويخبرنا سفر التكوين بأنّ هذا ما كانت عليه حالة عائلة آباء إسرائيل، أي يوسف وإخوته. فتنافسهم على ميراث أبيهم يعقوب أصبح مريعاً بحيث بدى علاجه مستحيلاً. ولكن كما سنرى في هذا الدرس، عمل الله على مصالحة يوسف مع إخوته وإعادة روابط الحبّ بينه وبينهم. وقد رسمت هذه المصالحة مساراً للعلاقات بين أسباط إسرائيل الاثني عشر خلال العهد القديم. ولا تزال توجّه العلاقات بين أتباع المسيح اليوم.

إن هذا الدرس من أسفار موسى الخمسة مخصّص لجزء من سفر التكوين متعلّق "بيوسف وإخوته". سنتناول مع بعض التفصيل قصة علاقة يوسف المضطربة بإخوته في التكوين ٣٧: ٢-٥٠: ٢٦.

قبل أن ننتقل إلى موضوعنا الرئيسي، من المفيد أن نستعرض من جديد المحتوى الأساسي لسفر التكوين. لقد رأينا في دروس سابقة أنّ سفر التكوين ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية، يُخاطب كلٌّ منها قرّاء موسى الأصليين بطرقٍ خاصة. يتناول القسم الأول التاريخ البدائي، ويمتدّ من التكوين ١: ١-١١: ٩. بيّن موسى لشعب إسرائيل، في هذا الجزء، أنّ دعوتهم إلى أرض كنعان تجدّ أساسها فيما صنعه الله منذ العصور الأولى لتاريخ البشرية. ويسجّل القسم الثاني تاريخ الآباء الأقدم في التكوين ١١: ١٠-٣٧: ١. أظهر موسى هنا كيف خاطبت حياة إبراهيم وإسحاق ويعقوب قضايا واجهت بنو إسرائيل في طريقهم إلى أرض الموعد. أمّا القسم الثالث، وهو تاريخ الآباء المتأخّر، والممتدّ من التكوين ٣٧: ٢-٥٠: ٢٦، فيُحدّثنا عن سيرة يوسف وإخوته. وسيتركّز درسنا على هذا الجزء الأخير من سفر التكوين.

كما سنرى لاحقاً، اشتملَ قصدُ موسى في هذا القسم من التكوين على عددٍ من الدروس لقرّائه الأصليين. لكن بصورةٍ عامة:

شكّلت سيرة حياة يوسف وإخوته درساً لأسباط إسرائيل كي يعيشوا معاً في توافقٍ وانسجامٍ بينما يتجهون نحو الاستيلاء على أرض الموعد والاستيطان فيها.

ينقسمُ درسنا حولَ يوسف وإخوته إلى قسمين رئيسيين. أولاً، سننظرُ في بُنية ومُحتوى هذه الإصحاحات وكيف يتماشيا تصميمها الأدبي وموضوعها معاً. ثانياً، سننظرُ في عددٍ من المواضيع الرئيسيّة التي ركّزَ عليها موسى لأسباط إسرائيل، وكيف تنطبقُ هذه المواضيع على المسيحيين المعاصرين. لننظرُ أولاً إلى بُنية ومُحتوى هذا الجزء من سفر التكوين.

البُنية والمحتوى

يعلم كلٌّ من اطّلع على سيرة حياة يوسف وإخوته أنّها تتضمن عدّة شخصيات، وخلفيات ثقافية مختلفة وعدد من الحكايات الروائيّة الثانويّة المعقّدة. وتعد هذه الخصائص معقّدة جداً بحيث يسهل الانشغال بالتفاصيل والاعغال عن البُنية الأدبيّة الشاملة التي تجمعها معاً. لكنّ ملاحظة كيف تعمل بُنية ومحتوى هذه الإصحاحات معاً هو أمر مهم بصفة خاصة لأن رواية يوسف وإخوته هي قصة موحّدة للغاية.

يشكّل تقديمُ موسى للقسم الممتد من التكوين ٣٧: ٢-٥٠: ٢٦ قصةً متكاملةً على خمسة

مراحل:

- تُصوّر لنا العُقدُ الاستهلاكيّة في القصة، في التكوين ٣٧: ٢-٣٦، خلاف الآباء الناتج عن حُكم يوسف المُحتمل على إخوته.
- المرحلة الثانية، أو تصاعدُ الأحداث، في التكوين ٣٨: ١-٤١: ٥٧ تُركّز على حُكم يوسف المتوعّد- أي تقلّده السلطة في مصر.
- المرحلة الثالثة، في التكوين ٤٢: ١-٤٧: ١٢، هي نُقطة التحوّل في القصة. حيث يتناولُ هذا الجزء المصالحة وجمع الشمل بين الآباء في مصر.
- المرحلة الرابعة، أو تراجعُ الأحداث في التكوين ٤٧: ١٣-٢٧ تُخبرنا عن حُكم يوسف الخيّر في مصر.
- والحل الأخير للرواية، في التكوين ٤٧: ٢٨-٥٠: ٢٦، يصفُ توافقُ الآباء تحت حُكم يوسف.

حاول عددٌ من المفسرين، خلال العقود الأخيرة، إظهار أن هذه الإصحاحات من التكوين تُشكّل توازناً متقابلاً واسعاً متّحد المركز. والتوازن المتقابل هو:

بُنية أدبية فيها تتقابل أو تتوازن الأقسام، الواردة قبل وبعد النقطة المركزية، فيما بينها.

تذهب معظم هذه المحاولات بعيداً في تشديدها على هذا الرأي. لكنها تُشير إلى تناظرٍ دراميّ على نطاقٍ واسعٍ مما يُعطي تماسكاً لرواية يوسف وإخوته بكاملها.

- ليس من الصعب أن نلاحظ أنه بصورةٍ عامة، تبدأ الرواية بخلاف الآباء وتنتهي بتوافق الآباء في الحل النهائي للقصة.
- يُقابل تصاعد الأحداث في حكم يوسف المُتوعدّ في مصر تراجع الأحداث في حكم يوسف الخير في مصر.
- إن نقطة التحول أو النقطة المفصلية-أي الانتقال من الخلاف والتهديد إلى الخير والوفاق - هي المصالحة وجمع الشمل الذي تمّ في مصر.

سننظر إلى هذه الأحداث بحسب الترتيب الذي وضعه موسى لها. لكنّ سيساعدنا فهمنا لهذا التناظر الدراميّ الأساسي عندما نفحص بعض التفاصيل في قصة يوسف وإخوته. يظهر محتوى قصة يوسف وإخوته تركيبات أدبية أكثر من أي قسم آخر في سفر التكوين. حيث نجد فيها قائمة طويلة من الشخصيات ويصور العديد منها كشخصيات متغيرة ثلاثية الأبعاد. ونرى المشاهد تنبض بالحياة أمامنا. كما يظهر خليط من السخرية، والفكاهة، والأحداث المأساوية. كذلك تحتوي القصة على الكثير من التحولات غير المتوقعة للأحداث، فتذكرنا بأحداثٍ وتسبق أخرى. من هنا، فقد دعا هذا الجزء من سفر التكوين القراء الأصليين من بني إسرائيل للتفكير في أمور أكثر بكثير من تلك التي سنبحث فيها في هذا الدرس. لكننا لضيق الوقت سنكتفي ببعض التعليقات على مضمون كلِّ إصحاح.

خلاف الآباء (تكوين ٣٧: ٢-٣٦)

بدأ موسى روايته في التكوين ٣٧: ٢-٣٦ بالعقدة الاستهلاكية للقصة، وهي خلاف الآباء حول حكم يوسف المستقبلي.

يتألف هذا الإصحاح الاستهلاكي من قسمين يُظهران معاً كيف ازداد الخلاف في عائلة يوسف حدة مع مرور الوقت. ويظهر القسم الأول الممتد من ٣٧: ٢-١١، كيف أثار يوسف غضب إخوته عليه بشكل متزايد. ويُخبرنا القسم الثاني، من العدد الثاني عشر إلى السادس والثلاثين، كيف باع الإخوة يوسف كعبد. لننظر أولاً كيف أثار يوسف غضب إخوته عليه.

أثار يوسف إخوته

في بداية القصة، يُصور لنا موسى يوسف كصبي بسيط وساذج ومفضل عند أبيه. على سبيل المثال، نرى في العدد ٣ أن يعقوب قد صنع ليوسف قميصاً ملوناً، الأمر الذي جعل إخوته يحسدونه. ويخبرنا العدد ٤ أنهم "أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام". ثم ما زاد الأمور سوءاً، هو قيام يوسف في مشهدين قصيرين بالتباهي بأحلامه حول تبوئه في المستقبل مركزاً عظيماً فوق عائلته. ولأجل ذلك، كتب موسى في العددين الخامس والثامن أن إخوة يوسف "ازدادوا أيضاً بغضاً له". ويخبرنا العدد ١١ أن "إخوته حسدوه".

من جهة أسباب الخلاف بين يوسف وإخوته. يمكنني الحديث عن اثنين. الأول هو كون أبيه قد صنع له قميصاً جميلاً جداً، الأمر الذي جعل إخوته يحقدون فيه ويقولون: "ينبغي أن أحصل على قميص كهذا. يجب أن يكون هذا القميص لي". وحين ننظر إلى أنفسنا، نجد أن مجتمعنا هذا لا يتعم بالوفاق لأن بعض الناس يتمتعون بحياة أفضل من سواهم. وتبدأ الخلافات حين يتساءل البعض في أنفسهم "لماذا لست مثل هذا الشخص؟"، ونرى هذا الأمر حتى داخل الكنيسة نفسها. نرى أحدهم مريضاً بينما يتعم الآخرون بصحة جيدة، فنسأل "لماذا لسنا بصحة جيدة؟" من هنا، إن تقديم الهدايا ليوسف دون سائر إخوته، هو ما تسبب بنشأة الخلاف. أما السبب الثاني: فهو طبيعة البشر الفاسدة. فإخوة يوسف لظالما حسدوه، لأنه كان يملك لباساً أجمل من البستهم، وهكذا صاروا يحسدونه.

والحسدُ مُتَأَصِّلٌ في نفوسنا جميعاً. فلم يكن في أولئك الإخوةِ وحدهم، إنما هو في كلِّ واحدٍ منا. لكننا كمسيحيين، مدعوون أولاً أن نحددهُ ونُدرك أنه خطيئةٌ، عندها نستطيعُ التغلّب عليه.

ق. د. كبريان جوشيندا

بعد أن عرضَ موسى خلافَ الآباءِ الناتجَ عن إثارةِ يوسفَ غضبَ إخوتهِ، انتقل إلى الجزء الثاني من ٣٧: ١٢-٣٦. وتتضمنُ هذه الأعدادُ روايةً قصيرةً تشرحُ كيف باعَ الإخوةُ يوسفَ كعبدٍ.

باع الإخوة يوسف

نرى هنا أنّ إخوةَ يوسفَ أمسكوهُ وخلعوا عنه قميصه الملوّنَ وخططوا لقتله. أمّا رأوبين، وهو الأخ الأكبر، فحاولَ جاهداً أن يُنقذَ يوسفَ من أيديهم لكنّه لم يُفلح. في النهاية، تمكّنَ يهوذا من إقناعِ الآخرينَ ببيعِ يوسفَ عبداً عوضاً عن قتله. وتنتهي هذه الحادثةُ بروايةِ الإخوةِ المأساويةِ والمضلّلةِ التي حملوها إلى يعقوب، بأنّ وحشاً برياً افترسَ يوسف. وقد أحضروا قميصَ يوسفَ المغمّسَ بالدمِّ إلى أبيهم، فناحَ يعقوبُ على ابنه كثيراً.

تقودنا هاتان الحادثتان معاً إلى عقدةِ الروايةِ التي تُحدّدُ مسارَ قصةِ يوسفَ وإخوتهِ بكاملها. وكانت هذه بدايةَ الخلافِ المأساويِّ بين آباءِ أسباطِ إسرائيل.

بعدَ العقدةِ الاستهلاكيةِ المتعلقةِ بخلافِ الآباءِ حولَ حكمِ يوسفَ المستقبليِّ، انتقلَ موسى إلى الجزء الثاني. حيث يُخبرنا موسى في (التكوين ٣٨: ١-٤١: ٥٧)، عن ظهورِ حكمِ يوسفَ المتوعّد.

حكم يوسف المتوعّد (التكوين ٣٨: ١-٤١: ٥٧)

استخدمَ موسى في هذه المرحلةِ أسلوبَ التهكّمِ الروائيِّ، مانحاً قراءَهُ حقائِقاً لم تمتلكها شخصياتُ القصةِ. أولاً، أقامَ إخوةَ يوسفَ - المُمثّلونَ هنا بيهوذا - في كنعان، وكانوا على ما يبدو واثقينَ من أنهم تمكنوا من منعِ يوسفَ من التفوقِ عليهم. لكن ما لم يعرفوه، هو أنّه في مكانٍ بعيدٍ في مصر كان حكمُ يوسفَ يتعظّم. فقد حوّلَ اللهُ عبوديةَ يوسفَ إلى سبيلٍ لتمجيده فوق عائلته.

ينقسم الجزء الذي يركّز على حكم يوسف المتوعدّ إلى قسمين رئيسيين. في القسم الأول، يصف التكوين ٣٨: ١-٣٠ خطية يهوذا مع ثامار في كنعان. ثم في التكوين ٣٩: ١-٤١: ٥٧، نقرأ عن نجاح يوسف في مصر. لننظر إلى خطية يهوذا في كنعان.

خطية يهوذا في كنعان

تقدّم يهوذا في هذا الإصحاح إلى مركز الصدّارة، لكونه هو وليس رؤبين، من تمكّن من منع إخوته من قتل يوسف كما رأينا في الحادثة السابقة. لذا يُقدّم لنا هذا الجزء أحداثاً من حياة ابن يعقوب الذي كان له المركز الأعلى بين إخوته.

تبدأ حادثة خطية يهوذا في كنعان في التكوين ٣٨: ١-٥ بعرضٍ لنقارير ميلاد أبناء يهوذا. ويطرّح موسى قضية أخلاقية عندما يُخبرنا في العدد الثاني أنّ يهوذا تزوّج امرأة كنعانية.

في الأعداد ٦-١١، يتكلّم موسى عن علاقة أبناء يهوذا بثامار. في البداية، أعطى يهوذا ثامار لابنه البكر عير. ولما مات عير، أعطى يهوذا ثامار لابنه الثاني أوثان. حيث كانت عادة زواج الأرملة من شقيق زوجها، أو زواج أرملة ليس لها أولاد من أخي الزوج، من الشرائع التي أمر بها الله في التثنية ٢٥: ٥-١٠. وكانت هذه الممارسة تضمّن وريثاً للأخ المتوفى، وتحمي أرملة. إلّا أنّنا نقرأ في العدد ٩ أنّ أوثان رفض أن يمنح ثامار ولداً. لذا، في العدد ١٠، أمات الله أوثان أيضاً. فخاف يهوذا من أن يلقى ابنه الثالث، شيلة الصغير، المصير نفسه. فرفض أن يسمح له بالزواج من ثامار. بل عوضاً عن ذلك، أرسل ثامار إلى بيت أبيها في عار.

ثم تُخبرنا الأعداد ١٢-٢٦ قصة إغواء ثامار ليهوذا. فبعد أن أدركت ثامار أنّها لن تُعطى زوجةً لشيلة، تنكرت بثياب الزانية وقامت بإغواء يهوذا. وخدعته بذكاءٍ واحتفاظها بخاتمها وعصابتها وعصاه كرهنٍ لديها. وبعد ثلاثة أشهر، نقرأ في الأعداد ٢٤-٢٦، أنّ يهوذا سمع بخبر حبّل ثامار وأمر بسخطٍ أن تُحرق. لكنّ أخرجت ثامار الخاتم والعصاة التي كان يهوذا قد أعطها إيّاها. وعندما أدرك يهوذا فعلته اعترف بذنبه.

استمع إلى التكوين ٣٨: ٢٦ حيث قال يهوذا:

هِيَ أَبْرٌ مِنِّي، لِأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي (تكوين ٣٨: ٢٦).

وكما يُشيرُ هذا العدد، اعترفَ الأبُّ يهوذا بأنَّ خطيئتهُ فاقت بكثيرِ الذنبِ الذي اقترفته ثامار. وكان باعترافه وتوبته المتواضعين قُدوةً للجميع. ونتيجةً لتغيُّرِ القلبِ هذا، كانت لقصةِ خطيةِ يهوذا مع ثامارٍ نهايةً إيجابيةً. وبعكس الجزء الافتتاحي حول أولادِ يهوذا من المرأة الكنعانية، ختم موسى هذا القسم في ٢٧-٣٠ بتقرير ميلادِ أبناءِ يهوذا من ثامار. وأصبح كلُّ من فارص ورازح اسمين بارزين في سبطِ يهوذا. مع وضع أحداثِ خطيةِ يهوذا في كنعان في الاعتبار، لننتقل إلى الجزء الثاني المتعلق بحكم يوسف المتوعد. يمتدُّ هذا الجزء من التكوين ٣٩: ١-٤١: ٥٧، وهو سردٌ مطوّلٌ لنجاح يوسف في مصر.

نجاح يوسف في مصر

ينقسمُ هذا الجزءُ إلى ثلاثة مقاطعٍ رئيسيةٍ. حيث يُخبرنا المقطعُ الأولُ عن انتقالِ يوسف من بيتِ فوطيفار إلى السجنِ في التكوين ٣٩: ١-٢٣. ما أن وصلَ يوسفُ إلى مصر حتى وجدَ نعمةً في عينيِّ فوطيفار الذي وكلَّهُ على بيته. لكن حاولت زوجةُ فوطيفار إغواءَ يوسف مراراً. وعندما لم تفلح، اتهمت يوسف بسوء التصرفِ معها. ورغم رَفُضِ يوسف لمحاولاتها، صدَّقَ فوطيفار الاتهاماتِ الباطلةِ لزوجته. وأرسلَ يوسف إلى سجنِ فرعون، حيث اكتسبَ يوسف ثقةَ السجانِ بسرعة. وبما أن هذه الحادثةُ تتبعُ قصةَ خطيةِ يهوذا مع ثامار مباشرةً، فمن الواضح أنها تُقابلُ بين تصرفِ يهوذا اللاأخلاقي ونقاءِ يوسف الأخلاقي.

عندما أقرأ قصةَ يهوذا وثامار أشعرُ برغبةٍ في اقتطاعِ هذا المقطعِ من الموضوع الذي وردَ فيه في التكوين، لأضعه في موضعٍ آخر. لكن عندما تقرأ السياق، تُدركُ لماذا قصَدَ اللهُ وَضَعَ هذه القصةَ بعدما بدأ بقصةِ يوسف. وأظنُّ أنَّ الغايةَ من ذلك هي رَغْبَتُهُ في إظهارِ التباينِ بين رجلِ آثمٍ ورجلٍ بارٍ. ففرى عندَ يوسف رغبةً في مقاومةِ الإغراءِ الجنسيِّ لزوجتهِ فوطيفار. فيما تورطَ يهوذا في البغاءِ باختياره، وربما في نوعٍ من البغاءِ الدينيِّ المقدس. بإمكانك إذاً أن ترى الفرقَ، وحقيقةً بركةِ اللهِ ليوسفَ بنصيبِ اثنينٍ من نصيبِ الابنِ البكرِ، مع أنه ليسَ البكرُ، لكنَّه هو من وجَّهَ عائلتهُ في الطريقِ المستقيم.

— د. ستيفن برامر

ثانياً، في التكوين ٤٠: ١-٤١: ٤٥، انتقل يوسف من السجن إلى بلاط فرعون. يشرح موسى في هذا المقطع، كيف وصل يوسف إلى الحكم بتفسيره أحلام رؤساء فرعون، ثم قام لاحقاً بتفسير أحلام فرعون عن سبع سنين الشُّبَع وسبع سنين الجوع. في المقطع الثالث، أي التكوين ٤١: ٤٦-٥٧، لخصَّ موسى حكم يوسف في بلاط فرعون. يصف موسى في هذا المقطع الطرق المختلفة التي مارس بها يوسف سلطته في مصر، حيث لم يكن أعظم منه إلا فرعون نفسه. وفي كلِّ جزءٍ تحدَّث فيه موسى عن نجاحات يوسف، وضحَّ أنَّ السبب وراء تولي يوسف السلطة لا يعود إلى مهارته الشخصية بل إلى يد الله التي كانت معه دائماً.

والآن بعد أن استعرضنا خلاف الآباء حول حكم يوسف المستقبلي، وحكم يوسف المتوعد في مصر، لا بدَّ أن ننتقل إلى نقطة التحول الرئيسية في القصة: مصالحة الآباء وجمع الشمل في مصر، وهي مدونة في التكوين ٤٢: ١-٤٧: ١٢.

مصالحة الآباء وجمع الشمل (التكوين ٤٢: ١-٤٧: ١٢)

تتناول هذه القصة الرئيسية عن المصالحة وجمع الشمل ثلاث رحلات مرتبطة بشكل وثيق، قامت بها عائلة يوسف من أرض كنعان إلى مصر. الرحلة الأولى في التكوين ٤٢: ١-٣٨. تُردُّ الرحلة الثانية في التكوين ٤٣: ١-٤٥: ٢٨. ونقرأ عن الرحلة الثالثة في التكوين ٤٦: ١-٤٧: ١٢. لننظر إلى الرحلة الأولى.

الرحلة الأولى (التكوين ٤٢: ١-٣٨)

إن الرحلة الأولى هي الأقل تعقيداً بين الروايات الثلاث، ويمكن أن نُجزئها إلى ثلاثة أقسام: أولاً، في التكوين ٤٢: ١-٥، سافر الإخوة من كنعان إلى مصر لأنَّ الجوع كان قد اشتدَّ في الأرض. في هذا القسم، أرسل يعقوب إخوة يوسف جميعاً، باستثناء بنيامين، ليشتروا طعاماً من مصر.

ويتناول القسم الثاني في التكوين ٤٢: ٦-٢٨ الأحداث في مصر حين تعرَّف يوسف على إخوته أولاً. لكنَّ لم يكشف يوسف عن هويته، بل امتحن شخصية إخوته بإرسالهم إلى أرض كنعان لإحضار بنيامين. في البداية، هدَّد يوسف باحتجاز الجميع في السجن باستثناء واحدٍ إلى حين

إحضار بنيامين إلى مصر. ونتيجةً لهذا، أدرك الإخوة أنه حان الوقت ليُقدّموا حساباً عما فعلوه بيوسف. فقد قالوا لبعضهم البعض: في التكوين ٤٢: ٢١ "حَقًّا إِنَّا مُذْنِبُونَ إِلَىٰ أَخِينَا ... لِذَلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هَذِهِ الضَّيْقَةُ". وبعد ثلاثة أيام، أرسل يوسف الجميع ماعدا شمعون ليُحضروا بنيامين. وأمر أن تُملأ أوعيتهم قمحاً وبالفضّة التي أحضروها لشراء القمح. وعندما عاد الإخوة، اكتشف أحدهم أن فضته في عدله، فخاف الأخوة وتعجبوا قائلين في العدد ٢٨، "مَا هَذَا الَّذِي صَنَعَهُ اللهُ بِنَا؟"

أما القسم الثالث الممتد من الأعداد ٢٩-٣٨، فيروي ما حدث عندما عاد الإخوة إلى كنعان. إذ حاولوا إقناع أبيهم بإرسال بنيامين معهم إلى مصر، لكن رفض يعقوب ذلك. فمكث الإخوة في كنعان.

الرحلة الثانية (التكوين ٤٣: ١-٤٥: ٢٨)

بعد أن تطرّقنا بإيجاز إلى الرحلة الأولى، لننتقل إلى أحداث الرحلة الثانية في التكوين ٤٣: ١-٤٥: ٢٨.

ورغم كونها أكثر تعقيداً من الرحلة الأولى، تنقسم الرحلة الثانية أيضاً إلى ثلاثة أجزاء رئيسية. يسبق الجزء الأول، في التكوين ٤٣: ١-١٤ سفر الإخوة إلى مصر. فبعد أن نفد مخزونهم من الطعام، وافق يعقوب أخيراً على إرسال بنيامين مع إخوته إلى مصر.

ويتألف الجزء الثاني، الممتد من التكوين ٤٣: ١٥-٤٥: ٢٤، من سردٍ مطوّل للأحداث في مصر. أولاً، في التكوين ٤٣: ١٥-٣٤، رحّب يوسف بإخوته في بيته ودعاهم إلى مأدبة كبيرة. لكنّه استمرّ في إخفاء هويته عنهم. وبحسب ما ورد في التكوين ٤٣: ٣٠، اختلجت مشاعر يوسف لدى رؤية أخيه بنيامين حتى أنه ترك الغرفة ليكي على انفراد.

في التكوين ٤٤: ١-١٣، أراد يوسف أن يمتحن إخوته. فأمر الذي على بيته أن يملأ عدالهم بالقمح والفضّة، وأن يضع في عدل بنيامين طاس الفضة. ثمّ صرف يوسف إخوته لينطلقوا إلى أرض كنعان. لكن، بأمر من يوسف، سعى الذي على بيته وراء الإخوة إلى أن أدركهم. "فوجد" طاس الفضة في عدل بنيامين، ورجع بالإخوة إلى بيت يوسف.

في الأعداد ١٤-٣٤، توسّل يهوذا إلى يوسف كي يرحمهم واعترف في العدد ١٦ قائلاً: "الله قد وجدَ إنَّكُمْ عبيدك". ثمّ عرض يهوذا أن يمكث في مصر عوضاً عن بنيامين عبداً ليوسف. فتأثّر يوسف بطلب يهوذا المتذلّل أمامه. فكشف يوسف أخيراً عن هويته لإخوته في التكوين ٤٥: ١-١٥.

ويُخبرنا التكوين ٤٥: ٢ أن "[يوسفَ] أَطْلَقَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ. فَسَمِعَ الْمِصْرِيُّونَ وَسَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ". وشرح يوسف في العدد ٧ أن الله أتى به إلى مصر "لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الْأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً". ثم طلب إلى إخوته أن يأتوا بأبيهم يعقوب إلى مصر. ويختم موسى المشهد في العديدين ١٤-١٥ بمشهد مؤثر ليوسف وهو واقف على عنق بنيامين أخيه ويبكي، وبنيامين يبكي على عنقه. وقبل يوسف جميع إخوته وتكلم معهم.

يتحدث القسم الأوسط من قصة يوسف عن المصالحة بين يوسف وإخوته. فقد غادر يوسف إلى مصر وواجه تحديات عدة، وها هم إخوته يأتون بحثاً عن طعام يُنقذهم من المجاعة، لكن وسط كل ذلك، وتحديداً في الإصحاح الخامس والأربعين، نرى هذا المشهد الرائع - إنه رائع بالفعل - وهو أحد أكثر المقاطع تأثيراً ووجدانيةً في كل سفر التكوين، عندما تصالح يوسف أخيراً مع إخوته. فها هم يتعانقون ويبكون كثيراً. لقد بكوا في هذا الإصحاح والإصحاح الذي قبله بقليل لدرجة جعلت المصريون يتساءلون ما سبب كل هذا البكاء؟ إنه لمشهد جميل لأن الإخوة الذي كانوا على خلاف فيما بينهم، تجدهم الآن متحدّين تماماً. ويعود هذا الاتحاد في الواقع إلى كون يوسف قد سبق وامتحن إخوته، فلاحظ التغيير في حياتهم. فهم لم يعودوا الإخوة الذين عرفهم في البداية، عندما ابتغوا قتله وضلّوا أباهم وكل تلك الأمور. بل تغيروا، وبرز بعضهم، مثل يهوذا بشكل خاص، بأنه إنسان مختلف. أما المصالحة فقد أتت نتيجة التغيير الذي حدث في حياة هؤلاء الإخوة وفي حياة يوسف. فقد تغير من ذلك الشاب المتهور الذي تباهى جداً بأحلامه إلى رجل يظهر رحمةً وهو في موقع السلطة. وحين ترى هذه التغيرات التي حصلت في هذه الإصحاحات، فإن مشهد الإخوة يبكون ويتعانقون هو مشهد قيم جداً، ولا بد أن يكون قد علق في عقول بني إسرائيل في أيام موسى.

— د. ريتشارد برات، الابن

ثم في التكوين ٤٥: ١٦-٢٤، أمر فرعون يوسف بأن يُرسل إخوته كي يأتوا بأبيهم يعقوب. ووعده فرعون يوسف في العدد ٢٠ قائلاً: "خَيْرَاتٍ جَمِيعَ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ". فأطاع يوسف وطلب من إخوته أن يستمروا في عيش الوفاق الذي عرفوه مؤخراً. وأوصاهم في العدد ٢٤ "لَا تَتَغَاضَبُوا فِي

الطريق".

في الجزء الأخير من الرحلة الثانية، في التكوين ٤٥: ٢٥-٢٨، عادَ الإخوةُ إلى كنعان. وأخبروا يعقوب بما حدثَ في مصر، فوافقَ يعقوبُ أن يذهبَ معهم إلى مصر. بعد أن نظرنا إلى مصالحة الآباءِ وجمعِ الشملِ في الرحلة الأولى والرحلة الثانية، نأتي إلى الرحلة الثالثة في (التكوين ٤٦: ١-٤٧: ١٢).

الرحلة الثالثة (التكوين ٤٦: ١-٤٧: ١٢)

تتقسّم الرحلة الثالثة إلى جُزأين رئيسيين. يُخبرنا الجزء الأول، في التكوين ٤٦: ١-٢٧ عن سفر الإخوة إلى مصر مجدداً، يرافقهم يعقوب هذه المرة. ونقرأ في الأعداد من ١-٧ عن مسار الرحلة وطمأنة الله ليعقوب بأنه سيباركه في مصر. وينتهي الحديث عن مراحل السفر في التكوين ٤٦: ٨-٢٧، بسجل أبناء يعقوب وأحفاده الذين أتوا إلى مصر.

ثانياً، كما في الرحلتين الأولى والثانية، يتناول القسم الثاني الممتد من التكوين ٤٦: ٢٨-٤٧: ١٢ الأحداث في مصر. وتتناول الأعداد ٤٦: ٢٨-٣٠ لقاء يوسف ويعقوب، الذي كان ليهودا دورٌ رئيسيٌّ فيه. وبعد هذا اللقاء، في التكوين ٤٦: ٣١-٤٧: ١٢، استقبل فرعونُ عائلة يوسف وطلبَ منهم أن يُقيموا في أرض جاسان تحت رعاية يوسف.

بعد كتابته عن مصالحة وجمع شمل الآباء، ينتقل موسى إلى المرحلة الرابعة، أو تراجع الأحداث في قصته. فيتكلم موسى في التكوين ٤٧: ١٣-٢٧ عن حكم يوسف الخير في مصر.

حكم يوسف الخير (التكوين ٤٧: ١٣-٢٧)

في التكوين ٤٧: ١٣-٢٦، نقرأ أنّ الجوع اشتدَّ مع مرور الوقت. فكانَ يوسف يؤمّن الطعامَ في جميع أرض مصر وأرض كنعان. وقد عزَّرَ نفوذُ فرعونَ بشرائه مواشي وأراضي الناس في مصر وكنعان مقابلَ الطعام الذي أعطاهُ لهم. ويتدبيره هذا أنقذَ حياةَ الكثيرين.

وفي نهاية الرواية، في التكوين ٤٧: ٢٧، كتبَ موسى عن حكم يوسف الذي عادَ بالخير على يعقوب وأبنائه مُعلّقاً:

وَسَكَنَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ مِصْرَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَمَلَّكُوا فِيهَا وَأَثْمَرُوا وَكَثُرُوا جَدًّا

(تكوين ٤٧ : ٢٧).

بعدَ خلافِ الآباءِ الأوَّلِ، ظهورِ حُكمِ يوسفَ المتوعَّد، مصالحةً وجمعُ شملِ الأخوةِ، وحُكمِ يوسفَ الخيَّرِ في مصر، نأتي إلى المرحلةِ الأخيرةِ من سِجْلِ موسى حولَ يوسفَ وإخوتهِ. في التكوين ٤٧ : ٢٨-٥٠ : ٢٦، نَعَمَتُ عائلةُ يوسفَ بوفاقِ الآباءِ في ظلِّ حُكمِ يوسفَ.

وفاقِ الآباءِ (التكوين ٤٧ : ٢٨-٥٠ : ٢٦)

نرى في هذه المرحلةِ الأخيرةِ الحلَّ للعُقْدَةِ الاستهلاكيَّةِ في قصَّةِ خلافِ الآباءِ. وبالتركيزِ على الوفاقِ بين أفرادِ عائلةِ يوسفَ، تُصوِّرُ هذه المرحلةُ البركاتِ التي نَعَمَ بها شعبُ إسرائيلَ، والتي كانتِ أمراً مهماً بالنسبةِ لقراءِ موسى الأوَّلِينَ. تتقسمُ الإصحاحاتُ التي تتناولُ موضوعَ وفاقِ الآباءِ إلى قسمينِ رئيسيينِ. في القسمِ الأوَّلِ، في التكوين ٤٧ : ٢٨-٥٠ : ١٤، يُسلِّطُ موسى الضوءَ على الترتيباتِ العائليَّةِ التي قامَ بها يعقوبُ في أيامهِ الأخيرةِ. ثمَّ، في التكوين ٥٠ : ١٥-٢٦، نرى ترتيباتُ يوسفَ العائليَّةِ. لننظرُ أولاً إلى ترتيباتِ يعقوبَ العائليَّةِ.

ترتيباتِ يعقوبَ العائليَّةِ (التكوين ٤٧ : ٢٨-٥٠ : ١٤)

يبدأُ هذا القسمُ ببيعقوبِ وقد قَرَبَتْ أيامُهُ ليموتَ. ويشرُحُ موسى في ٤٧ : ٢٨-٣١، أنَّ يعقوبَ طلبَ من يوسفَ قَسماً بأن يدفنهُ في أرضِ كنعانَ. ثمَّ، في ٤٨ : ١-٤٩ : ٢٨، نقرأُ عن جلسنتينِ منفصلتينِ تتناولانِ بركاتِ يعقوبَ.

في الجلسةِ الأولى، في ٤٨ : ١-٢٢، باركَ يعقوبُ يوسفَ وابنيه، أَفْرَائِمَ وَمَنْسَى، على انفرادِ. وحصلَ يوسفَ هنا على امتيازِ الميراثِ المضاعفِ الذي يكونُ عادةً من نصيبِ الابنِ البكرِ، لأنَّ يعقوبَ أرادَ أن يتعاملَ مع أَفْرَائِمَ وَمَنْسَى بشكلٍ مساوٍ مثلَ أعمامهم. لكن وبشكلٍ غيرِ مُتَوَقَّعٍ، قدَّمَ يعقوبُ أَفْرَائِمَ، ثاني أبناءِ يوسفَ، على مَنْسَى، الابنِ البكرِ.

ثمَّ في ٤٩ : ١-٢٨، بعدَ أن رَفَعَ يعقوبُ يوسفَ وابنيه في اجتماعٍ منفردٍ، نالَ جميعُ أبناءِ يعقوبَ بركاتِهِ الأخيرةِ. فجمعَ يعقوبُ كلَّ أبنائهِ معاً وباركهم الواحد تلو الآخر، باركهم الأب كلَّ حسبَ مَسَلَكِهِ. وبوصفها بركاتِ يعقوبَ الأخيرة، كانتِ هذه الترتيباتُ لتستمرَّ إلى الأجيالِ القادمةِ.

وينتهي هذا القسم في التكوين ٤٩: ٢٩-٥٠: ١٤ الذي يُخبرنا عن موت يعقوب ودَفْنِهِ. حَقَّقَ يوسفَ في هذه الأعدادِ رَغباتِ أبيه بَدْفِنِهِ في أرضِ كنعان. ثم رَجَعَ إلى مصر.

ترتيبات يوسف العائلية (التكوين ٥٠: ١٥-٢٦)

يتناول هذا القسم الموجز روايتين قصيرتين. في التكوين ٥٠: ١٥-٢١، طمأن يوسف إخوته مجدداً وأكد لهم أنه سيستمر بمعاملتهم بلطفٍ. وقد التمس إخوته منه أن يصفح عنهم، وسامحهم يوسف بلطفٍ.

إن أحد الأمور التي نراها في قصة يوسف وإخوته هي قوة المغفرة، قوة الوثوق بمقاصد الله الصالحة في وقت تكون فيه ظروفنا صعبة جداً، وننظر إلى الآخرين فنرى ظروفهم أحسن من ظروفنا. وربما يمكننا القول بصدق: "هم أوصلوني إلى هذه الحالة". لكن كان رد فعل يوسف نحو إخوته الذين باعوه في الأساس كعبد، الوثوق بالرب وطاعته، وتحقيقاً لقصدٍ مميزٍ وهامٍّ أعدّه الله له.

— ق. د. مايكل واكر

في التكوين ٥٠: ١٩-٢١، قال يوسف لإخوته:

لَا تَخَافُوا. لِأَنَّهُ هَلْ أَنَا مَكَانَ اللَّهِ؟ أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا لِكِي يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا. فَالآنَ لَا تَخَافُوا. أَنَا أَعُولُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ (تكوين ٥٠: ١٩-٢١).

تنتهي قصة يوسف وإخوته بأسرها في التكوين ٥٠: ٢٢-٢٦ بقسم طالب به يوسف إخوته. استمع إلى التكوين ٥٠: ٢٥:

وَاسْتَحْلَفَ يُوسُفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: "اللَّهُ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتَصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا" (تكوين ٥٠: ٢٥).

نعلمُ ممّا دُوِّنَ في سفر التكوين أنّ هذا القسَمَ كان آخرَ تواصلٍ بين يوسف وإخوته قبل موته. وقد تعهدَّ إخوةُ يوسفَ بالنيابةِ عن أبنائهم أنّه عندما يفتقدُ اللهُ إسرائيلَ ويُحرِّزهم من مصر، سيستمرّوا في تكريم يوسفَ بأخذِ عظامه معهم إلى أرضِ الموعد ليدفنوها هناك.

كانت هذه كلماتُ يوسفَ الأخيرة: "الله سيفتقدكم" - وهو يتوجّه في الأساس إلى إخوته وعائلته - "فتُصعدون عظامي من هنا". وكحاكمٍ في مصر، على الأرجح أنّه ما أن توفي يوسف، قاموا بتحنيطه ووضعوه في تابوت. وفي كلّ مرّةٍ يشاهدون فيها تابوته يتذكّرون الوعد الذي أُعطي ليوسف والآباء بأنهم سيرجعون إلى أرض كنعان. حيث قال يوسفُ "تُصعدون عظامي معكم؛ وتضعونها في أرضِ الموعد معكم". إن هذا جزءٌ من إيمانه بوعدِ الله. وهكذا عندما غادر اليهود أرضَ مصر، أخذ موسى معهم عظامَ يوسف. ومجدداً في تلك الأربعين سنة، أصبحت هذه العظامُ رمزاً، ووسيلةً مرئيةً، للوعدِ الأعظم الذي أعطاهُ اللهُ لشعبِ إسرائيل، بأن يُقيموا في أرضِ الموعد. في النهاية دُفنت العظامُ في شكيم، والمبدأ هنا، كما أظنّ، هو بسيطٌ جداً: إن وعودَ الله حقيقيّةٌ أكثرُ من أيّ شيءٍ آخرٍ في الحياة. والله يفي بوعدِهِ.

— د. لاري واترز

إلى هذه المرحلة من درسنا حول يوسف وإخوته، نظرنا إلى بُنية ومُحتوى سجلِّ موسى. لا بدّ أن ننتقل الآن إلى الموضوع الرئيسيّ الثاني من درسنا: وهو المواضيع الرئيسيّة في هذه الإصحاحات.

المواضيع الرئيسيّة

كانت لقصة يوسف وإخوته تداعيات كثيرة على القراء الأصليين لسفر التكوين، أكثر بكثير ممّا يمكننا أن نذكره في هذا الدرس. كذلك الأمر بالنسبة للتطبيق المعاصر. مع ذلك، حين ننظر إلى هذه الإصحاحات في قرينة القراء الأصليين، تبرز بعض المواضيع في المقدمة. لا تتناول هذه المواضيع الرئيسيّة كلّ الطرق التي صيغت فيها قصة يوسف كي تؤثر في قرائها الأصليين. كذلك لا تقدّم كلّ سبل تطبيقها على حياتنا اليوم. لكن توجهنا هذه المواضيع الرئيسيّة نحو بعض الخصائص

الأكثر أهمية في هذا الجزء من سفر التكوين.

سننظر في بعض المواضيع الرئيسية في هذه الإصحاحات من ناحيتين: أولاً، سنقدم بضع ملاحظات حول طريقة فهمنا لبعض التركيزات المشتركة التي تظهر في قصة يوسف وفي السجلات التي تناولت سير إبراهيم وإسحاق ويعقوب على حد سواء. ثانياً، سننظر بدقة إلى اثنين من التركيزات الخاصة التي تم التركيز عليها في قصة يوسف وإخوته. لننظر أولاً إلى عدد من التركيزات المشتركة.

التركيزات المشتركة

كما رأينا في دروس أخرى عن سفر التكوين، هناك أربعة مواضيع رئيسية تظهر في الروايات التي تناولت حياة كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وتظهر هذه المواضيع عينها في قصة يوسف وإخوته: التأكيد على نعمة الله لإسرائيل، مطلب ولاء إسرائيل لله، بركات الله لإسرائيل وبركات الله من خلال إسرائيل إلى الآخرين. لتأمل اللحظة في كيفية فهمنا لموضوع نعمة الله لإسرائيل في هذا القسم من الكتاب المقدس.

نعمة الله لإسرائيل

يستخدم الكتاب المقدس مصطلحات محددة للإشارة إلى النعمة، الرحمة، والرأفة الإلهية، لكننا نادراً ما نصادف هذه المصطلحات في قصة يوسف. مع ذلك، نجد موضوع نعمة الله في كل هذه الإصحاحات. فيما سندعوه "ذلك العالم" في زمن يوسف، كان الله من حين إلى آخر يُذكر يوسف وعائلته بنعمته في الماضي، أي النعمة التي أظهرها قبل زمنهم. كما أظهر الله أيضاً نعمته المستمرة ليوسف وعائلته عند كل منعطف. وعندما أنبأ الله بحدوث أمور مستقبلية، كان في أكثر الأحيان يُعلن عن نعمته المستقبلية التي ستكون من نصيب يوسف وعائلته يوماً ما، بالأخص نعمة الرجوع إلى أرض الموعد.

إلا أن أشكال هذه النعمة الثلاثة لم تُشكل قصة يوسف فقط. فقد كتب موسى عن نعمة الله في عالم يوسف حتى يتأمل قراؤه الأصليون بالطرق العديدة التي أظهر الله لهم بها النعمة في "عالمهم".

بالطريقة نفسها، بإمكاننا كأتباع المسيح أن نجعل النعمة التي أظهرها الله ليوسف وعائلته

تَنْطَبِقُ عَلَى عَالَمِنَا نَحْنُ أَيْضاً. وَهَنَّاكَ طَرَقٌ عَدِيدَةٌ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، لَكِنْ مِنَ الْمَفِيدِ لَوْ نَظَرْنَا إِلَى الْأَمْرِ مِنْ نَاحِيَةِ مَرَاكِحِ مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ الثَّلَاثِ. فَمِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، إِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي ظَهَرَتْ لِيُوسُفَ وَإِخْوَتَهُ فِي الْمَاضِي تَنْطَبِقُ عَلَيْنَا لِأَنَّهَا ظَهَرَتْ فِي الْمَجِيءِ الْأَوَّلِ لِلْمَسِيحِ، فِي تَأْسِيسِ مَلَكُوتِهِ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ نَرَى فِيهَا نِعْمَةَ اللَّهِ الْمُسْتَمِرَّةَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ، نَتَذَكَّرُ نِعْمَتَهُ الْمُسْتَمِرَّةَ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ مِنْ خِلَالِ اسْتِمْرَارِيَّةِ مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ. وَتَمَاماً، كَمَا تَوَقَّعَ يُوسُفُ وَعَائِلَتُهُ نِعْمَةَ اللَّهِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَتَرَجَّى مَرَاحِمَ اللَّهِ عِنْدَ اكْتِمَالِ مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ فِي السَّمَاوَاتِ الْجَدِيدَةِ وَالْأَرْضِ الْجَدِيدَةِ. إِلَى جَانِبِ التَّرْكِيزَاتِ الْمَشْتَرَكَةِ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ لِإِسْرَائِيلَ، لِنَنْظُرَ إِلَى مَطْلَبِ وِلَاةِ إِسْرَائِيلَ لِلَّهِ.

وِلَاةِ إِسْرَائِيلَ لِلَّهِ

إِنْ إِحْدَى أُبْرَزِ الْمِيزَاتِ الْاسْتِثْنَائِيَّةِ فِي سَرْدِ مُوسَى عَنِ ذَلِكَ الْعَالَمِ، أَيْ عَالَمِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ، هِيَ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَذْكَرْ آيَّةً تَعْلِيمَاتٍ أَوْ وَصَايَا صَادِرَةٍ عَنِ اللَّهِ. بَلْ عِوَضاً عَنِ ذَلِكَ، تَوَقَّعَ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُقِيمُوا وِلَاةَ يُوسُفَ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ فِي ضَوْءِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُمْ فِي عَالَمِهِمْ. طَبَعاً، عَلِمَ مُوسَى أَنَّ الْأَبَاءَ مَا كَانُوا لِيَحْصُلُوا عَلَى الْخِلَاصِ مِنْ خِلَالِ وِلَاةِهِمْ لِشَّرِيعَةِ اللَّهِ. فَلطالما كَانَ ذَلِكَ أَمراً مُسْتَحِيلًا. إِلَّا أَنَّ طَاعَتَهُمْ وَعَصِيَانَتَهُمْ فِي كُلِّ مَرِحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِحِ الْقِصَّةِ، كَشَفَا حَقِيقَةَ قُلُوبِهِمْ. وَدَعَا مُوسَى قِرَاءَهُ إِلَى فَحْصِ قُلُوبِهِمْ فِي ضَوْءِ قِصَّةِ يُوسُفَ.

عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، مِنَ النَّاحِيَةِ السَّلْبِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ مُوسَى بِحَاجَةٍ إِلَى التَّحَدُّثِ مُبَاشَرَةً عَنِ اسْتِكْرَارِ اللَّهِ لِتَخْطِيطِ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِقَتْلِهِ. إِذْ كَانَ قِرَاءَهُ عَلَى عِلْمِ أَنْ فِي هَذَا الْأَمْرِ خَرْقاً لِلْوَصِيَّةِ السَّادِسَةِ الَّتِي تُنْهِي عَنِ الْقَتْلِ وَالْوَارِدَةِ فِي الْخُرُوجِ ٢٠: ١٣. كَذَلِكَ كَانَ بَيْعُ يُوسُفَ كَعَبْدٍ انْتِهَاكاً لِلشَّرَائِعِ، كَتَلِكِ الْوَارِدَةِ فِي التَّنْبِيَةِ ٢٤: ٧. وَقَدْ كَسَرَ الْإِخْوَةُ الْوَصِيَّةَ فِي الْخُرُوجِ ٢٠: ١٢ الَّتِي تُوصِي بِإِكْرَامِ الْأَبِّ وَالْأُمِّ حِينَ قَامُوا بِخِدَاعِ يَعْقُوبَ. وَلَمَّا اضْطَجَعَ يَهُوذَا مَعَ تَامَارَ، ظَانِئاً أَنَّهَا زَانِيَةٌ، قَامَ بِانْتِهَاكِ الْوَصَايَا الَّتِي تَمْنَعُ عَنِ الزَّانَا فِي الْخُرُوجِ ٢٠: ١٤ وَشَّرَائِعَ أُخْرَى كَتَلِكِ الْوَارِدَةِ فِي اللَّاويِيِّينَ ١٩: ٢٩.

لَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَكْثَرِ إِجَابِيَّةِ، اعْتَمَدَ مُوسَى أَيْضاً عَلَى مَعْرِفَةِ قِرَائِهِ بِشَّرِيعَةِ اللَّهِ حَتَّى يُمَيِّزُوا إِنْ كَانَ يُوسُفَ وَإِخْوَتَهُ أَمْنَاءَ مَعَ اللَّهِ. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، كَانَ تَصَرُّفُ يُوسُفَ مُطَابِقاً لِلْوَصِيَّتَيْنِ السَّابِعَةِ وَالْعَاشِرَةِ الْوَارِدَتَيْنِ فِي الْخُرُوجِ ٢٠: ١٤ وَ ١٧، حِينَ أَظْهَرَ أَخْلَاقَهُ الْعَفِيفَةَ وَقَاوَمَ إِغْوَاءَ امْرَأَةِ فُوطِيفَارَ لَهُ. لِاحْتِقَاءً، فِي نِصُوصِ مِثْلِ التَّكْوِينِ ٤٦: ٢٩-٣٤، أُكْرِمَ يُوسُفَ وَإِخْوَتَهُ أَبَاهُمْ تَمَاماً كَمَا تُوصِي الْوَصِيَّةُ الْخَامِسَةُ فِي الْخُرُوجِ ٢٠: ١٢. وَقَدْ عَكَّسَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فِي تَوْبَتِهِمْ وَتَنَدَّلْتَهُمْ

أمَامَ يوسُفَ ما جاءَ في الشرائعِ مثلُ اللاويين ٥: ٥. وكانَ تَحَنُّنُ يوسُفَ على إِخوتِهِ والرَّحمةُ التي أَظْهَرها لهُم انعكاساً لِمَا وَرَدَ في نصوصِ مثلِ اللاويين ١٩: ١٨.

إِذا يُمكننا أن نرى أَنَّهُ عندما وصفَ موسى الولاءَ وعدمَ الولاءِ لله في ذلكَ العالمِ، أرادَ أن يلفتَ النظرَ إلى ولاءٍ وعدمِ ولاءٍ قَرَّائِهِ الأصليين من بني إِسرائيلَ في عالمهم.

كمسيحيين معاصرين، هناك ثلاثُ طرقٍ أساسيةٍ على الأقلَّ ينبغي أن نتناولَ بها الولاءَ وعدمَ الولاءِ لله في قصةِ يوسف. أولاً، ينبغي أن نقارنَ وتقابلَ بينَ هذه الأمتلَّةِ وطاعةِ المسيحِ الكاملةِ لله، خصوصاً خلالَ تأسيسِ ملوكته. ثانياً، علينا أن نكونَ مستعدينَ لتطبيقِ المبادئِ الأخلاقيةِ في قصةِ يوسفَ في حياتنا اليوميةِ مع استمراريةِ ملكوتِ المسيح. وأخيراً، يجب أن يلفتَ مطلبُ الولاءِ في قصةِ يوسفَ انتباهنا إلى ما سيحصلُ في المجيءِ الثاني للمسيحِ عندَ اكتمالِ ملكوته. في ذلكَ الوقتِ، كلُّ من كانَ لهم إيمانٌ خلاصيٌّ بالمسيحِ، سيتحولونَ بالكامل إلى خدامِ الله كاملين في الطاعةِ في السماواتِ الجديدةِ والأرضِ الجديدةِ.

لقد نظرنا إلى التركيزاتِ المشتركةِ على نعمةِ الله لإسرائيلَ وولاءِ إِسرائيلَ لله. أمَّا التركيزُ الثالثُ المشتركُ بينَ قصةِ يوسفَ وتاريخِ الآباءِ المبكرِ هو موضوعُ بركاتِ الله لإسرائيلَ.

بركاتِ الله لإسرائيلَ

بالنسبةِ "لذلكَ العالمِ" الذي عاشَ فيه يوسفُ وإخوتهُ، لا بدَّ أن نذكُرَ أنَّ اللهَ أَعَدَّ بركاتِهِ أحياناً بالرغمِ من عدمِ ولاءِ الآباءِ وأحياناً أخرى نتيجةً لولائهم.

وقد هدفَ موسى من خلالِ عرضه لموضوعِ بركاتِ الله لشعبه في ذلكَ العالمِ إلى جعلِ قَرَّائِهِ الأصليين يُدركونَ كم من مرَّةٍ بارَكهم اللهُ في عالمهم - بالرغمِ من عدمِ ولائهم وأيضاً نتيجةً لولائهم. وبنفسِ الطريقةِ، تنطبقُ بركاتُ الله في قصةِ يوسفَ وإخوتهُ على عالمنا اليوم. أحياناً ننالُ هذه البركاتِ بالرغمِ من عدمِ ولائنا وأحياناً أخرى ننالها نتيجةً لولائنا. ونجدُ الترابطَ بينَ قصةِ يوسفَ وحياتنا عندما نُدركُ البركاتِ التي سكبها اللهُ على شعبه في تأسيسِ ملكوتِ المسيح. ونُدرِكُ أيضاً كيف يُبارِكنا الآن في استمراريةِ ملكوتِ المسيح. ونترقَّبُ بركاتِ الله الآتيةِ عندَ اكتمالِ ملكوتِ المسيح.

إلى جانبِ التركيزاتِ المشتركةِ على نعمةِ الله لإسرائيلَ، ولاءِ إِسرائيلَ لله، وبركاتِ الله لإسرائيلَ، تُقدِّمُ قصةُ يوسفَ أمراً بارزاً مشتركاً إضافياً حولَ بركاتِ الله من خلالِ إِسرائيلَ للآخرين.

بركات الله من خلال إسرائيل

تُخبرنا نصوص مثل التكوين ١٢: ٣؛ ٢٢: ١٨؛ ٢٦: ٤ أنّ الله بارك إسرائيل وكلف إبراهيم ونسله بنشر ملكوته وبركاته إلى سائر الأمم. ويظهر هذا الموضوع في عالم يوسف ذاك، أولاً، من خلال حكم يوسف في مصر الذي كان بركة للآخرين. على سبيل المثال، كان يوسف بركة لوطيفار في التكوين ٣٩: ٥. وكان بركة لرئيس بيت السجن عند فرعون في التكوين ٣٩: ٢٢. كما بارك يوسف فرعون عندما فسّر له حلمه في التكوين ٤١: ٢٥. لكن أتت البركات الأعظم في أوج نفوذ يوسف عندما بارك المصريين والعديد من الأمم. كما نقرأ في التكوين ٤١: ٥٦-٥٧:

وَكَانَ الْجُوعُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَفَتَحَ يُوسُفُ جَمِيعَ مَا فِيهِ طَعَامَ وَبَاعَ
لِلْمِصْرِيِّينَ... وَجَاءَتْ كُلُّ الْأَرْضِ إِلَى مِصْرَ إِلَى يُوسُفَ لِتَشْتَرِيَ قَمْحاً، لِأَنَّ
الْجُوعَ كَانَ شَدِيداً فِي كُلِّ الْأَرْضِ (تكوين ٤١: ٥٦-٥٧).

من السهل ملاحظة أنّ موضوع بركات إسرائيل للآخرين ينطبق على "عالمهم"، أي عالم قراء موسى الأصليين. أولاً، بسماع قصة يوسف، لا بدّ وأن بني إسرائيل قد تشجعوا حين علموا أنّ آباءهم باركوا آخرين بالفعل. لا بدّ وأن يكونوا قد أدركوا أيضاً أنّ الله قد دعاهم كي يحملوا بركات الله إلى الآخرين في زمنهم. كذلك لا بدّ أن يكونوا قد تطلّعوا نحو المستقبل عندما ستحمل ذريّاتهم بركات الله إلى العالم أجمع.

كما هو متوقّع، ينطبق هذا الموضوع أيضاً على عالمنا نحن. فقد وهب المسيح العالم بركاته في تأسيس ملكوته. وهو يبارك العالم الآن من خلال كنيسته في استمرارية ملكوته. ويوماً ما، سيُبارك كلُّ قبيلةٍ وأمّةٍ في العالم عند اكتمال ملكوته في الخليقة الجديدة.

التركيزات الخاصة

خلال استعراضنا للمواضيع الرئيسية في قصة يوسف، ذكرنا بعض التركيزات المشتركة بين قصة يوسف وبقية ما ورد عن تاريخ الآباء في سفر التكوين. لنركّز الآن على اثنين من التركيزات الخاصة التي تميّزت بهما قصة يوسف عن سواها.

اقترحنا سابقاً في هذا الدرس:

شكّلت سيرة حياة يوسف وإخوته درساً لأسباط إسرائيل كي يعيشوا معاً في توافقٍ وانسجامٍ بينما يتجهون نحو الاستيلاء على أرض الموعد والاستيطان فيها.

كما سبق ورأينا، يدور القسم الأكبر من هذا الجزء من سفر التكوين حول الخلاف والوفاق بين يوسف وإخوته. إن يوسف وإخوته هم آباء أسباط إسرائيل الاثني عشر. إذا كانت هذه التفاعلات بينهم مرتبطة بشكل مباشرٍ بالتفاعلات الحاصلة بين أسباط إسرائيل في زمن موسى. استمع إلى كلمات يوسف الأخيرة في التكوين ٥٠: ٢٤-٢٥ حيث يظهر هذا الارتباط بوضوح:

وَقَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: "أَنَا أَمُوتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ وَيُصْعِدُكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ". وَاسْتَحْلَفَ يُوسُفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: "اللَّهُ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا" (تكوين ٥٠: ٢٤-٢٥).

إننا لا نبالغ عندما نتحدث عن أهمية الارتباط الموجود في هذا النص بين ذلك العالم، أي عالم يوسف، وعالمهم، أي عالم قراء موسى الأصليين. فقد ختم موسى قصة يوسف وإخوته بتوقيع يوسف الواضح لما حدث حينها في حياة قراء سفر التكوين الأصليين - أي دخولهم إلى أرض الموعد.

هناك عدة طرق نلخص بها نتائج هذا الارتباط بين كلمات يوسف الأخيرة وخبرات القراء الأصليين. لكن من أجل أغراض هذا الدرس، سننظر إلى اثنين من التركيزات الخاصة. أولاً، سننظر كيف كانت قصة يوسف وإخوته مُصممةً لتعزيز الوحدة القومية بين أسباط إسرائيل في أيام موسى. وثانياً، سننظر كيف اعترفت كلماته بالتنوع القومي الذي أمر به الله بين أسباط إسرائيل. دعونا ننظر أولاً إلى موضوع الوحدة القومية.

الوحدة القومية

حتى ندرك أهمية موضوع الوحدة القومية، علينا أن نُشير إلى كون قصة يوسف وإخوته

تنتقل من نموذج يظهر مرة تلو المرة في سفر التكوين. ويمكننا أن ندعو هذا النموذج "الخلافة الحصريّة". ونعني بالخلافة الحصريّة انتقال نعمة الله الخاصّة من جيلٍ إلى جيلٍ من خلال شخصيّة رئيسيّة واحدة أو أبٍ واحدٍ.

فكّر في الأمر من هذه الناحية: في التاريخ البدائيّ لسفر التكوين في ١: ١-١١: ٩، أمر الله آدم ونسله في البداية أن يملأوا الأرض ويسودوا عليها. وكان عليهم أن ينشروا ملكوت الله المجيد في كلّ الأرض. لكن مع دخول الخطيّة، انتقل هذا الوعدُ بشكلٍ حصريّ إلى شيث وليس إلى قابيل. ثمّ انتقلت نعمة الله الخاصّة عبر نسل شيث إلى أن أكّد الله عهدَه حصريّاً مع نوح. وكان لنوح ثلاثة أبناء، سام، حام وياث. لكنّ انتقلت وعودُ الله من جيلٍ إلى جيلٍ حصريّاً من خلال ذريّة سام. وفي نهاية التاريخ البدائي، كان إبراهيم، المنحدر من سام، الوريث الحصريّ لوعودِ الله.

ونرى نموذج الخلافة الحصريّة هذا يستمرّ في تاريخ الآباء المبكر كما نقرأ في التكوين ١١: ١٠-٣٧: ١. حيث انتقلت وعودُ إبراهيم فقط إلى إسحاق بدلاً من إسماعيل وأبناء إبراهيم الآخرين. ثمّ انتقلت وعودُ الله لإسحاق حصريّاً إلى يعقوب بدلاً من عيسو.

لكن مهما بلغت أهميّة نموذج الخلافة الحصريّة هذا في الإصحاحات ٣٦ الأولى من سفر التكوين، فقد وصل إلى نهاية مفاجئة مع قصّة يوسف وإخوته. حيث شدّد موسى في هذا الجزء من سفر التكوين على "الخلافة الجامعة". فقد آمن أن نعمة الله الخاصّة انتقلت من يعقوب إلى كلّ من أبنائه الاثني عشر، وليس إلى واحدٍ منهم فقط. وعندما مات يعقوب، تشارك كلّ من أبنائه الاثني عشر ونسلهم معاً في ميراث يعقوب لأرض الموعد. إن هذا التوزيع، لإرث يعقوب الذي شمل جميع أبنائه، دعا قرآء موسى من بني إسرائيل إلى أن يتحدوا معاً كأمة.

بينما نقرأ قصّة يعقوب، ثمّ قصّة يوسف وأخيه يهوذا، نلاحظ وجود الكثير من الاضطرابات داخل هذه العائلة، صراعات كثيرة، وغيره، وخصام. لم يشأ الله أن تحيا جماعة عهدِه بهذه الطريقة. وهكذا تصبح القصّة نموذجاً عن عملِ الله داخل جماعة عهدِه ليجعلها متحدةً مثلما انتهى الأمر بيوسف ويهوذا متحدّين، ولم يعد هناك مكانٌ للخصام بينهما. وهذا مثالٌ جيدٌ للأجيال اللاحقة. حيث أن يوسف ويهوذا هما سبطان من الأسباط الرئيسيّة في إسرائيل. واتحادهما معاً مثالٌ رائعٌ عن نوع الوحدة الذي يرغبُ الله أن يراها داخل جماعة عهدِه، ويعملُ على تحقيقه.

— د. روبرت شيسلوم، الإين

كما رأينا سابقاً في هذا الدرس، بدأت قصة يوسف وإخوته بخلاف نتج عن الذنوب التي اقترفتها الإخوة تجاه بعضهم البعض. لكنها انتهت بوفاق بين الإخوة. وبهذه الطريقة وضحت رواية موسى لجميع الذين تبعوه أنّ الله دعا أسباط إسرائيل للسعي إلى الوحدة القومية. وكما بينت قصة يوسف، كان لكلّ إسرائيل نصيب في أرض الموعد التي أعطاهها الله ميراثاً لإبراهيم وإسحاق ويعقوب. لا عجب إذاً في أن يكون موسى قد تناول موضوع الوحدة بين أسباط إسرائيل في أماكن أخرى. على سبيل المثال، في الخروج ١٩: ٨، ركّز موسى على كون كلّ بني إسرائيل قد وافقوا بالإجماع على الدخول في عهد مع الله على جبل سيناء. في سفر العدد ٣٢ ويشوع ١: ١٢-١٨، شدّد كلّ من موسى ويشوع على وجوب أن يُحارب الأسباط معاً في أرض كنعان قبل أن يتفرّقوا. وقد جمع موسى أيضاً جميع الأسباط ليُجددوا العهد في التثنية ٢٩: ٢.

أكثر من ذلك، واصل كتاب العهد القديم لاحقاً التركيز على الوحدة القومية لإسرائيل. وعلى الرغم من إخفاقات داود وسليمان، فقد اعتبرت فترة المملكة المتحدة عصر إسرائيل الذهبي. فقد كان انقسام الأمة إلى مملكتين شمالية وجنوبية أبعد ما يكون عما أراده الله لشعبه. وفيما بعد، وعد أنبياء إسرائيل باتحاد الأسباط بعد السبي من جديد. وشددت أسفار مثل أخبار الأيام على ضرورة أن يستقر ممثلون عن كلّ سبط في أرض الموعد بعد السبي.

لقد كان تركيز موسى على الوحدة بين آباء الأسباط الاثني عشر، في عالم يوسف وإخوته، حافظاً لتعزيز الوحدة القومية بين أسباط إسرائيل في عالمهم. ويُشير هذا التركيز أيضاً إلى إحدى الطرق الرئيسية التي ينبغي أن نطبق بها قصة يوسف وإخوته على عالمنا المعاصر. فكما تشارك أسباط إسرائيل في ميراث واحد، يشارك جميع أتباع المسيح، أينما وجدوا في العالم، في ميراث واحد في المسيح. وقد رسّخ يسوع هذه الوحدة في تأسيس ملكوته. وعلينا أن نسعى وراء هذه الوحدة طيلة استمرارية ملكوت المسيح. وسنعيش يوماً ما بهجة الوحدة الكاملة والوفاق بين شعب الله عند اكتمال ملكوت المسيح.

استمع إلى رسالة أفسس ٤: ٣-٦، حيث قال بولس:

مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلَامِ. جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِينُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلَهٌ وَابٌّ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَيَأْكُلُ وَفِي كُلِّكُمْ (أفسس ٤: ٣-٦).

لاحظ التسلسل المنطقي في هذا النص. فقد ناشد بولس أتباع المسيح أن يكونوا "مجتهدين أن يحفظوا وحدانية الروح". فمثل الميراث المشترك بين أسباط إسرائيل، لدينا نحن أيضاً العديد من الأمور المشتركة: جسد واحد، روح قدوس واحد، رجاء واحد، رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، وإله وأب واحد.

نقدم قصة يوسف وإخوته لأتباع المسيح اليوم فُرصاً عديدة للتأمل في الخلافات التي غالباً ما تنشأ بيننا. كما تمنحنا العديد من الإرشادات العملية بينما نكرس ذواتنا للوحدة كشعب الله في العالم.

شجعت قصة يوسف على الوحدة القومية بين بني إسرائيل، لأن يوسف كان إنساناً تملأ المغفرة قلبه. والمغفرة هي العنصر الوحيد الذي يوحدنا، ليس كما كان لبني إسرائيل فقط، بل لنا أيضاً كمسيحيين، وللعائلات، وللحياة التي نحياها في هذا العالم. لقد أساء إخوة يوسف إليه كثيراً، لكن عندما كانوا في ضيق، خلصهم. وحين ننظر إلى قصة يوسف لنرى كيف غفر لهم، لقد صفح عن أذية كبيرة جداً. لقد أرادوه ميتاً. ولم يريدوه أن يحيا. لم يرغبوا في رؤيته مجدداً. لكن لم يرغب يوسف في الانتقام منهم. كان له القدرة والنفوذ ليفعل ذلك، لكنه أصبح تقياً، أصبح أكثر نضجاً من إخوته في الإيمان فضمهم. ويمكن لذلك أن يتكرر في إسرائيل بين الأسباط الاثني عشر، كما يمكن أن يتكرر بيننا، في عائلاتنا، وفي كنائسنا، ويمكن أن يتكرر أيضاً في مجتمعنا.

— ق. د. كبريان جوشيندا

بقدر أهمية إدراك أن التركيز الخاصة لموسى عززت الوحدة القومية لإسرائيل، مهم أيضاً أن ندرك لماذا كان موسى بحاجة لفعل ذلك. باختصار، ركز موسى على ضرورة الوحدة لأن الله أمر أيضاً بالتنوع القومي لشعبه.

التنوع القومي

بكل بساطة، كان جميع آباء الأسباط ورثة يعقوب، ولكن هذا لا يعني أن الله تعامل معهم بالطريقة ذاتها تماماً. بل على العكس، توضح بقية أسفار العهد القديم أن الله أعطى أسباط إسرائيل

امتيازات ومسؤوليات مختلفة. وقد شدّد موسى على ضرورة الوفاق بين أسباط إسرائيل لسببٍ رئيسي: يمكن الحفاظ على وحدة إسرائيل فقط لو أقرّ بنو إسرائيل أنّ الله نفسه قد قصد هذا التنوع في الامتيازات والمسؤوليات بين الأسباط.

نرى موضوعَ التنوع، مثله مثلَ موضوعِ الوحدةِ، يعودُ ليظهرَ في كلِّ مرحلةٍ من مراحلِ قصّةِ يوسفَ وإخوته. لكنّه يبرزُ بشكلٍ خاصٍّ في التكوين ٤٧: ٢٨-٤٩: ٣٣. حيث وُزِعَ يعقوبُ، في هذه الإصحاحات، ميراثُهُ على أبنائه الاثني عشر، إلاّ أنّه أسّسَ أيضاً فروقاً ثابتةً بينهم وبين ذُرِّيَّاتهم. شجّعَ موسى في هذه الإصحاحاتِ على التنوعِ القوميِّ لإسرائيل، وذلكَ من خلالِ سردهِ للفروقِ بين جميعِ أبناءِ يعقوب. لكن من أجلِ أغراضنا في هذا الدرس، سنتكلّمُ عن اثنين فقط: يهوذا ونسله وبالطبع يوسف ونسله. لتتأمّل أولاً في الإكرام الذي أُعطيَ ليهوذا ونسله.

يهوذا ونسله: جعل موسى، في هذه الإصحاحات، الأب يهوذا في مركزِ الصدارةِ عدّةَ مرّاتٍ ليؤكدَ على الأهميّةِ التي قضى بها الله ليهوذا وبسببه. يَظهرُ يهوذا أولاً في التكوين ٣٧: ١٢-٣٦، عندما سعى الإخوةُ لقتلِ يوسف. ففي العددين ٢٦-٢٧، برزَ يهوذا من بين إخوته وتدخلَ بنجاحٍ من أجلِ يوسف. وقد أكّدَ يهوذا على التوافقِ الذي كان من المفترضِ أن يتحلّى به الإخوةُ حين قامَ بتذكيرهم في العدد ٢٧ أنّ "[يوسف هو] أخونا ولحمنا". ونرى هنا الاعترافَ بقيادةِ يهوذا حيث وافقَ الإخوةُ على اقتراحه.

يَظهرُ يهوذا مجدداً في ٣٨: ١-٣٠، حين أعادَ موسى سردَ قصّةِ خطيئةِ يهوذا في كنعان. وتقابلُ هذه الروايةُ بين فسقِ يهوذا واستقامةِ يوسفَ في بيتِ فوطيفار. لكن في ٣٨: ٢٦، يكشفُ موسى عن اعترافِ يهوذا المتواضعِ حين أقرَّ أن "[ثأمار] أبرُّ منّي". فمن الواضحِ أنّ الله قبلَ توبةَ يهوذا، لأنّ الله باركهُ فيما بعد بولادةِ توأمين، فارصَ وزارح.

ولفتَ موسى النظرَ من جديدٍ إلى قيادةِ يهوذا خلالَ رحلةِ الآباءِ الثانيةِ إلى مصر في ٤٤: ١٤-٣٤. عندما اتَّهمَ بنيامين بسرقةِ طاسِ الفضةِ، تقدّمَ يهوذا أمامَ يوسفَ وتوسّلَ إليه حتى يرحمَ أخاه. حيث تحدّثَ بتواضعٍ، داعياً نفسه وإخوته "بعبيد" يوسف. كما أظهرَ توبةً على ما فعله هو وإخوته، عندما اعترفَ أنّ "الله قد وجدَ إثْمَ عبديك". كذلك كرمَ أباه حين قالَ "الشرّ الذي يُصيبُ أبي" إن لم يعدْ ببنيامين إلى كنعان. وقد عرضَ بشجاعةٍ أن يمكّثَ هو في مصر "عوضاً عن الغلام".

وأخيراً، في ٤٩: ١-٢٨، برزَ يهوذا في المشهدِ من خلالِ بركاتِ يعقوبِ الأخيرة. فقد أعلنَ يعقوبُ في الأعداد ٨-١٢ أنّ يهوذا وبسببه سيرتقيان إلى مكانةٍ في القيادةِ لا نظيرَ لها. وسيُصبحُ سبطُ يهوذا يوماً ما السببَ الملكي لإسرائيل.

استمع لكلمات يعقوب في التكوين ٤٩: ٨-١٠:

يَهُودًا إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ. يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ. يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ... لَا يَزُولُ
قَضِيبٌ مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرَعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ
شُعُوبٍ (تكوين ٤٩: ٨-١٠).

لاحظ هنا أن يهوذا "سيحمده إخوته". وسيضع يده على قفا أعدائه، هذا يعني أنه سيغلب كل من يعارضه. و"بنو أبيه" - أي إخوته - "سيسجدون له". ووفقاً لأوصاف موسى السابقة، أشار هنا إلى أنه سيكون لسبط يهوذا سلطاناً على سائر أسباط إسرائيل.

مهم أن نذكر أن "القضيب" و"المشترع"، وهما رمزان للملكية، سيُمسكهما سليل من سبط يهوذا. وسيستمر حكم سلالة يهوذا الملكية حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب.

يقدم لنا التكوين ٤٩: ١٠ أول إشارة واضحة في الكتاب المقدس لحقيقة أن سليلاً من يهوذا سيصبح ملكاً على العالم أجمع. وهذه إشارة واضحة إلى المسيا الذي من بيت داود. وسيحقق هذا الملك الآتي الوعد الذي ورد في التكوين ١٢: ٣ حيث قال الله لإبراهيم، "تتبارك فيك جميع قبائل الأرض". بواسطة هذا الملك، سينتشر ملكوت الله في كل الأرض. وسيكون "خضوع الشعوب" لهذا الملك العظيم من يهوذا.

لن يصعب علينا أن نفهم لماذا شدد موسى على تعظيم يهوذا في ذلك العالم، حين توجه إلى قرائه الأصليين في عالمهم. لم يكن يهوذا الابن البكر ليعقوب، فلم يكن معهوداً أن يحصل على أهمية بهذا القدر. إذاً، حين كتب موسى عن يوسف وإخوته ليعزز وحدة أسباط إسرائيل، توقع منهم أيضاً أن يحافظوا على هذه الوحدة وهم مدركون حقيقة أن الله عظم سبط يهوذا بهذا الشكل.

إن تعظيم يهوذا نتائج عديدة أيضاً بالنسبة لأتباع المسيح المعاصرين في عالمنا. لكن في صميم ذلك كله حقيقة أن الله وعد بمجيء ملك من سبط يهوذا يكون الأعظم بين الملوك. وقد تحقق هذا الوعد في ابن داود الكامل في البر، يسوع، ملك الكون. فقد جلس يسوع على عرشه في السماء عند تأسيس ملكوته. وهو الآن يملك في مرحلة استمرارية ملكوته حتى يوضع جميع أعدائه تحت قدميه. وعند اكتمال ملكوته، سيملك على الخليقة الجديدة إلى الأبد.

بعد أن رأينا كيف شدد موسى على التنوع القومي داخل إسرائيل بالتركيز على يهوذا ونسله، لننتقل إلى الأهمية الواضحة التي حظي بها يوسف ونسله في هذا الجزء من سفر التكوين.

يوسف ونسله: فكما رأينا، يوسفُ هو الشخصيةُ الرئيسيَّةُ في تكوين ٣٧: ٢-٥٠: ٢٦. لكن، بخلاف إخوته، كان يوسفُ مثاليًّا إلى حدِّ كبيرٍ في هذه الإصحاحات. في الحقيقة، إن المرَّة الوحيدة التي لَمَحَ فيها موسى إلى عيبٍ في شخصيَّةِ يوسفَ هي في مقدِّمةِ الرواية. في ٣٧: ٢-١١، نقرأ أنَّ يوسفَ أثارَ غضبَ إخوته. فقد أتى بنميمتهم الرديئةَ إلى أبيه وتباهى أمامهم بأحلامه عن المستقبل. ولكن حتَّى هذه الميزةُ السلبيةُ الواحدةُ هي طفيفةٌ. وقد خَفَفَ موسى من حَجْمِها في العدد ٢، عندما ذكَّرَ أنَّ يوسفَ كان "ابنُ سبعِ عشرةِ سنةً".

بمعزلٍ عن هذا النقصِ الذي لَمَحَ إليه، كانت صورةُ يوسفَ التي قدَّمتها موسى إيجابيةً بمُجْمَلِها. فقد حَدَّمَ يوسفُ فوطيفارَ بأمانةٍ. وقاومَ زوجةَ فوطيفار. كما لم يكن عليه أيُّ لومٍ في خدمته لفرعون. وقامَ باختبارِ إخوتهِ بذكاءٍ عندما أتوا إليه. كان شفوفاً نحوهم حتى بعدَ الشرِّ الذي ألحقه به. وقد أظهرَ حُبًّا تجاه أبيه وبنيامين. وباركَ شعوباً كثيرةً لما كان حاكماً في مصر. هكذا وبطرقٍ عديدةٍ أخرى، صوِّرَ موسى يوسفَ تماماً كما وصفه يعقوبُ في (تكوين ٤٩: ٢٦). كان يوسفُ "على قَمَّةِ نذيرِ إخوته".

في الواقع، نعلم جميعاً من خبراتنا المشتركة أنَّه من المؤكد أنَّ يوسفَ قد أخطأ مرَّاتٍ عديدةٍ في حياته. فهذا ينطبق على كل شخص في كل زمان، فيما عدا المسيح. فلماذا إذاً يُصوِّرُ موسى يوسفَ مثاليًّا إلى هذا الحدِّ؟ ماذا كان قصده من هذا الأمر؟ يكمن الجواب في حقيقة أنَّ الله قد منح يوسفَ ونسله أهميَّةً خاصَّةً بين أسباط إسرائيل.

تَظْهَرُ أهميَّةُ يوسفَ ونسله أولاً في الترتيباتِ الخاصَّةِ بيوسفَ وابنيه في التكوين ٤٨: ١-٢٢. في هذه الأعداد، باركَ يعقوبُ ابني يوسفَ، أفرايمَ ومنسى كما لو كانا ابنيه هو. ونقرأ في ١ أخبار الأيام ٥: ١، أنَّ رأوبينَ حَسِرَ بكَوريَّتهِ لأنَّه دَنَسَ فراشَ أبيه. فحين تَبَيَّنَ يعقوبُ أفرايمَ ومنسى كأبنائه، عني ذلك أنَّ يوسفَ حَصَلَ على نصيبٍ مضاعفٍ كَبِكرٍ ليعقوب.

ويَظْهَرُ أحدُ أهمِّ أجزاءِ هذا الترتيب في ٤٨: ١٣-٢٠ حيث قدَّمَ يعقوبُ أفرايمَ على منسى خلال مُباركته للصبيين. فقد قرَّبَ يوسفَ ابنه أمَامَ يعقوبَ وحرَّصَ على أن تكونَ يَدُ يعقوبَ اليمنى، يَدُ البركةِ الأعظم، تستقرُّ على رأسِ منسى. ويَدُ يعقوبَ اليسرى، يَدُ البركةِ الأصغر، تستقرُّ على رأسِ أفرايم. وقد بدا هذا الترتيبُ مناسباً لأنَّ منسى كان الابنُ البِكْرُ ليوسفَ. لكن دونَ توضيحِ الأمر، قامَ يعقوبُ بوضعِ يدهِ اليسرى على رأسِ منسى ويدهِ اليمنى على رأسِ أفرايم. وأثارَ ذلك استياءَ يوسفَ، فحاولَ أن يَنقُلَ يديَّ يعقوبَ بحيثَ يَحْصُلُ منسى على البركةِ الأكبر. لكن استمع إلى ما حَصَلَ لاحقاً في تكوين ٤٨: ١٩:

فَأَبَى أَبُوهُ وَقَالَ: "عَلِمْتُ يَا ابْنِي عَلِمْتُ! [مَنْسَى] أَيْضاً يَكُونُ شَعْباً وَهُوَ أَيْضاً
يَصِيرُ كَبِيراً. وَلَكِنَّ أَخَاهُ الصَّغِيرَ [أَفْرَايِمَ] يَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ وَنَسْنَهُ يَكُونُ جُمُهوراً مِنَ
الْأُمَّمِ" (تكوين ٤٨ : ١٩).

أو كما يمكن أن يُقال "شعباً في ذاتهم". وتُشيرُ نصوصٌ مثلُ سفر العدد ٢ : ١٨-٢١؛
التثنية ٣٣ : ١٧ أن أفرايم فاقَ منسى عدداً وشأناً. في الواقع، كانت هيمنةُ أفرايم عزيمةً جداً بحيثُ
أنه في السنواتِ اللاحقةِ، خلال فترة انقسام المملكة، غالباً ما كان يُدعى كلُّ شعبِ مملكةِ إسرائيلِ
الشماليةِ "أفرايم".

قد يبدو أن هذا الموضوعُ بمجمله لا يعني شيئاً بالنسبةِ لأتباعِ المسيحِ المعاصرين. لكن هذه
الأهميةُ غيرُ المتوقعةِ التي أُعطيتُ لأفرايم في ذلك العالم، أي عالمِ يوسف وإخوته، أشارت إلى
ترتيبٍ من الله كان مُهماً بصورةٍ خاصةٍ بالنسبةِ إلى قراءِ موسى الأولين في عالمه. وبينما كتب
موسى سفرَ التكوين، كان على وشك أن يُسلمَ قيادةَ الشعبِ إلى يشوع، تلميذه. لكن لكم يكن يشوعُ
من سبطِ لاوي مثلَ موسى وهارون. ولم يكن من سبطِ يهوذا الملكي. بل كان يشوعُ من سبطِ أفرايم،
السبطِ الذي باركةَ الله وقدمه على سائرِ الأسباط. في الواقع، قامَ موسى بتسليطِ الضوءِ على أفرايم
في هذه الروايةِ، ليعطي الشرعيةَ لصحةِ اختياره لَخَلْفِهِ. ولم يبرزَ سبطُ يهوذا ويتميِّزُ إلا بعدَ موتِ
يشوع. أما يشوعُ الأفرايمي فهو الذي سيقودُ الأمةَ إلى أرضِ الموعد.

كأتباعِ المسيحِ المعاصرين، يدعونا هذا البعدُ من قصةِ يوسف وإخوته إلى الإقرارِ بالبركاتِ
والأدوارِ المختلفةِ التي عيَّنها الله في عالمنا. ففي تأسيسهِ لملكوته، باركَ المسيحُ شعبَهُ بمواهبٍ
متعددةٍ. فأعطى البعضَ أن يكونوا رسلاً، والبعضَ أنبياءً، والبعضَ معلِّمين وما شابه. ودعا أشخاصاً
مختلفين إلى أنواعِ خدماتٍ مختلفةٍ ومَنَحَهُم امتيازاتٍ مختلفةٍ. ولم يُوطدَ المسيحُ هذا التنوعَ ليجزئ
شعبَهُ بل ليوحدَهُ ويجعله متماسكاً. وخلال استمراريةِ ملكوتِ المسيحِ، يسكُبُ الروحُ القدسُ مواهبَهُ كما
يشاء. وحتى عندَ اكتمالِ الملكوتِ، سنرى اختلافاً في الطُرُقِ التي سيُكرِّمُ بها الله هؤلاء الذين تَبِعُوا
المسيحَ. وبينما نطبِّقُ قصةَ يوسف وإخوته على عالمنا، ينبغي أن نُقرَّ بالتنوعِ الذي جعلهُ الله بين
شعبهِ في كلِّ عصرٍ ونقدِّره.

الخاتمة

في هذا الدرسِ حولِ يوسف وإخوته، نظرنا إلى بُنيةِ ومُحتوى الجزءِ الرئيسيِّ الأخيرِ من سفرِ

التكوين. ورأينا كيف استخدمَ موسى هذه الإصحاحاتِ ليدعمَ المواضيعَ الرئيسيَّةَ، ومن بينها تلك التي ظهرت في الأجزاءِ الأولى لسفر التكوين، والتركيزاتِ الخاصةِ لموسى في هذه الإصحاحاتِ على وحدةٍ وتنوعٍ شعبِ إسرائيل.

تكشف لنا قصة يوسف وإخوته كيف كان من الصعب على آباء إسرائيل، أي يوسف وأخوته أن يعيشوا بسلامٍ مع بعضهم البعض. ولكن في النهاية، وطَّد الله روابط المحبة الثابتة بين الإخوة. فقصة الخلاف والمصالحة والوفاق هذه كُتبت في الأصل لدعوة أسباط إسرائيل الاثنا عشر إلى التوبة والاتحاد كشعب الله في زمنهم. وهي تدعونا اليوم إلى مقاومة الانقسام وتعزيز روابط المحبة التي توجد بيننا كأتباعٍ للمسيح. فنحن كجسد المسيح مدعوون إلى المشاركة في ميراث المسيح. وتقدم قصة يوسف وإخوته إرشاداً ضرورياً لكيفية تكريس أنفسنا لوحدة شعب الله اليوم من أجل ملكوته المجيد في شتى أنحاء العالم.